



أجهد نفسه طول الوقت في التفكير لعله يتدبر المسألة بهدف إرضائها، وسعى جادا لتوفير ثمن أحسن أضحية كتلك التي تعود شراءها في السنين الخوالي، قبل أن يودع أباه إلى دار البقاء منذ شهور، ويفضل رفقة زوجته وابنه الصغير فقط. لكنه لم يفلح، وتضاعفت على مسامعه نبرات زوجته:

- سكان العمارة كلهم اقتنوا..

متى ستقتني!

ثم تستطرد في وصف الأضاحي وطول قرونها، وملاحظتها... وهو يتحرق راغبا عن الاستعانة بواحد من القروض التي تثقل الكاهل، أكثر من كونها تحل المشاكل، طامعا باستمرار في إسعاد أسرته الصغيرة. وليحسم ديدبته أمام شيطان العوز الذي سارع لإغوائه بالحرام، قرر الاكتفاء بما في حوزته من دراهم، والانصراف إلى سوق الأضاحي قانعا بأوسط الحلول، راضيا بأضحية مليحة دون قرون..

عكس أضحية العام الفائت، والعام الذي قبله.. ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها!

عندما ولج السوق، وعالج معروضات الفلاحين القليلة، أدرك أنه تأخر كثيرا، ومن الصعوبة إيجاد خراف مليحة في مستوى ما يحفل به جيبه الهزيل، لأن الفقراء كثر، وسلعة كالتى يبغى مطلوبة عموما.



الكبش الأقرن

— محمد زيتون - المغرب —

انتهزت المصاريف فرصة الضيق الذي عصف مؤخرا به، وأخذت تتبجح بمداد فاتوراتها طوال الأشهر الأخيرة، حتى إن كل مدخراته كان نصيبها تغطية عجز أجرته الشهرية المتواصل. وما زاد الطين، في اعتباره، بلة أن عيد الأضحى على الأبواب، وما من سبيل أمامه لتدارك الأمر بعدما طاف بين أصحابه مستدينا، فكان لكل عذره، وزوجته بعناد كعادتها، جندت نفسها لرفض كل الحلول المقترحة بين يديها، وأخذت تصر دون هوادة: «فإما خروف أملح أقرن كالذي تعودناه في الأعياد السابقة وإما البقاء هكذا دون.. أضحية».

انتهزت المصاريف فرصة الضيق الذي عصف مؤخرا به، وأخذت تتبجح بمداد فاتوراتها طوال الأشهر الأخيرة، حتى إن كل مدخراته كان نصيبها تغطية عجز أجرته الشهرية المتواصل. وما زاد الطين، في اعتباره، بلة أن عيد الأضحى على الأبواب، وما من

والعيد لم يبق عليه سوى خمسة أيام، بصعوبة وجد أضاحي اختار من بينها بغيته، فاضطر صاغرا لقبول العرض بثمنه البسيط، وراح يقنع نفسه طول طريق العودة: خروف سمين لكنه أصغر حجما، وإن كان أغزر صوفا، الصوف سيبيده أكبر في عيون الزوجة على الأقل، رغم أنها قد تتساءل عن القرون... ولكننا ثلاثة فقط في البيت، وقرونه...

- القرون؟.. القرون؟.. أين الكباش الأقرن؟

ضجعت زوجته فور أطل عليها حاملا خروفه، فلم يجبها إلا وقد أحكم ربط الخروف في ركن من الشقة، وابنه الوحيد، يتطاير فرحا وهو يرى أباه يتقدم متصبب العرق، معفر الثياب، لاهثا يحمل الخروف.

- أهذا كل ما وجدت في السوق؟

- بل هذا كل ما استطعت شراءه.

- ولماذا؟ أين القرون؟ هل نضحي بغير الأملاح الأقرن؟

- لكل عام ظروفه.. يا عزيزتي.

- غير ممكن!

- لا يكلف الله نفسا إلا وسعها والناس؟..

- وما دخل الناس؟

- يا رجل.. ألا تملك ثمن خروف؟

- وهل أمزح عندما حدثتك في الأمر؟

- ومدخراتك؟

- نفدت.. لقد قلت لك!

- ولماذا لم تستدن؟

- حاولت ولم أجد...

فوضعت وجهها بين كفيها وأخذت تبكي وتصيح:

- حرام.. حرام...

فيجبها:

- الحرام هو ما يغضب ربنا يا امرأة..!

ثم ضجعت باشتعال أكبر:

- أأضحى بقط.. يا رجل؟؟؟

- إنه كبش.. كبش، وليس قطاً.. استغفري الله!

أضاف وهي تواصل نشيجها:

- لقد سألت الإمام وأجاز لنا وفق المستطاع.. ثم إننا ثلاثة...

- يا ليتك ما اشتريته!

- هذا رأيك.. أعرف...

- ولماذا اشتريته إذن.. لقد قلت لك...

- أعرف.. أعرف...

كان ابنه قد لبث سجين ملامح الذهول والفرح، يتفرج على الخروف من مكان بعيد. والخروف يصيح مقيدا في الركن الذي لا يشبه في شيء فضاء المرعى الذي غادره، لكنه فجأة سمع صوتا ينتفض

بغضب في غرفة والديه. إنه صوت أمه على الأرجح، هي التي تعودت أن ترفع صوتها بعين الرنة. ولعل حنجرتها تنتفض الآن بداع أثارها في علاقتها بالوالد. تقدم الصبي صوب الباب الموارب، فأبصر أمه جالسة فوق السرير، تمسح دمعها، وفي المقابل يقف الوالد موليا جهتها ظهره متكئا على إفريز النافذة.

كان النقاش قد شارف على انتهائه حين التفت أبوه رافعا صوته:

- استغفري الله يا امرأة.. تعقلي!

وربما كان سيقول شيئا آخر.. لكن وجه ابنه طالعه بابتسامة وديعة، فابتسم وخطا صوبه، تناوله في حضنه، قبله، ثم رفعه عاليا قبل أن يسوي جلسته فوق قفاه، ويتقدم به إلى ركن الخروف:

- هل أعجبك الخروف يا بني؟

- نعم.. هل اشتريته يا أبي؟

- نعم اشتريته لك يا كبدي.

- لي؟.. وسأذبحه..؟

- نعم.. وستذبحه.. وتأكل منه...

- سأكله كله!

- أوه.. لا.. لا يجوز أن تأكله كاملا!

- ولماذا؟

- لأن هناك أبي وأمي في الدار.

- أم.. سأعطيك بعض اللحم.



- وهناك فقراء لا يقدر
على شراء أضحية العيد ويجب أن
نقتسم معهم.

- مساكين!

- نعم مساكين.. هكذا كن دائما
طيبا يا بني..

بعد برهة، غادرت الزوجة
خباءها، مصممة على الاستمرار

في بكائها.. تزمجر بين
الفينة والأخرى بما لا يتسع
قفص جمجمته لسماعه،
ومخافة أن تشتبك الأمور
بينهما أمام ابنه. فتح
الباب وفضل الخروج إلى
حين عودة ربيع الارتياح
إلى حقول شرايينها:

- هكذا هي عندما
تركب دماغها!

قال في نفسه، وقرر
أن المسألة لا شك ستسوى
في غمرة دقائق، إذ ما
أكثر ما انتفضت، وما
أكثر ما عاجلها الهدوء!
إنها سريعا تعود لارتداء
قناع حقيقتها فتشرق

باسمة، معتذرة عن الذي صدر
منها، مصممة على الحب والفرح
والحياة. لذلك اختار أن يتوجه إلى
مكان يريح فيه أعصابه، المسجد.
أولا توضأ وأدى صلاة الظهر، ثم
دلف عبر الزقاق إلى أول مقهى في
الشارع المقابل للحديقة العمومية.

اختار مقعدا خلف زجاج الواجهة
حتى يمنع نفسه ضجيج الشارع
الذي يصطخب في كل ظهيرة، وأخذ
يتناول جرعات مشروبه البارد. لقد
لبث زهاء ساعة، يطوف بين كئيبان
هواجسه دون أن يهنأ قيد أنملة
أسفل ما ينتابه من توتر، وكأنه
يتوقع شيئا هذه المرة دون سابقاتها!



لذلك جمع قواه، وكاد يفادر المقهى
عندما رن هاتفه الخليوي:
- أهلا.. السيد عبد الحكيم؟
- نعم.. من معي؟
- ضابط الشرطة.. أرجو
أن تلتحق بنا في المركز على وجه
السرعة...

- هل يمكن أن أعرف السبب؟
- زوجتك هنا...
- زوجتي؟
هرول بفرع في عتمة الخبر الذي
لطم أسماعه. وكل الذي في باله
أن زوجته تقدمت بشكوى.. فهل
يعقل مع كل الذي مر بينهما من
ود وحب؟ أصبح أن المرأة يمكن
أن تنسى كل الخير..
تحت ذريعة مشكل مفتعل
كهذا؟ أكل هذه السرعة
تستجيب الضابطة
القضائية لشكواها؟ ثم
يتدارك نفسه: لا.. شيء
ما وقع لابني! زوجتي لا
يمكن أن تتشجع على رفع
دعوى بهذه السهولة! شيء
ما وقع لها أو وقع للولد!
وأخذ يستسرع سائق
سيارة الأجرة، وهو يجتاز
الشوارع صوب المركز
المجاور للمحطة. والفضب
يمازجه القلق والخوف،
والأسئلة تتقاطر،
والوساوس تتضخم كلما

استطالت الطريق، كلما توقفت
السيارة أمام إشارة مرور. الظنون
على اختلافها تشرتب كالطحالب
السوداء تحتل من دماغه منافذ
التفكير والرؤية والسمع. حلقه
أصبح جافا، العرق يتصبب:
- لقد تركتها في الدار، متى

خرجت؟ كيف؟ .. ٩ الضابط ساخرا) وتشاغل
لكنه ما كاد يضع قدميه في بالتذاكر عن الولد والحقية. بينما
المخفر حتى شرعت سجع الظلمة بادر غريب بمنح الولد دراهم. وكلفه
تتكشف أمام ناظره. لقد انتهزت باقتناء عليه حلوى وجريدة...
زوجته العزيزة فرصة خروجه، حينئذ تدخل ليكمل ما يمكن
ورقت أغراضها وأغراض ابنها، توقعه:
بما في ذلك حليها، في الحقية، - عادت السيدة حرمي.. بعدما
وامتطت قاطرة جنونها، متوجهة حصلت التذاكر فلم تجد الولد ولا
صوب المحطة، عازمة على السفر الحقية!
لقضاء مناسبة العيد مع إخوانها - نعم
وأما في المدينة البعيدة. ولما كانت وأضاف:
المحطة مكتظة، شديدة الزحام، - وأخذت تولول: خطفوا ابني..
وشباك التذاكر تطول أمامها ابني...
صفوف المسافرين، فقد تركت - والآن.. الابن ها هو.. فأين
الحقية جانب ابنها، وأوصته المشكلة؟ تسأل وهو يحضن ابنه.
بأن يكون رجلا، عاقلا.. (وابتسم - المشكلة.. أجابت زوجته

دامعة العينين - إن الحلي كلها في الحقية؟
- وماذا ستفعلون يا سيدي الضابط؟
- سنقوم بعملنا.. لقد أخذنا أوصاف السارق، وسجلنا تفاصيل القضية...
ابتسم الأب بارتياح، وطمأنينة، وأخذ ابنه بين ذراعيه بعد ما شكر ضابط الشرطة، ملتصقا منه المزيد من الجهد، راجيا من الله أن يوفقه في مهامه. ثم انسحب بزوجه المنتحبة صامتا.. وقلبه يرف:
الله أعطى.. الله أخذ.. منه العوض وعليه العوض.. إنه درس يا حبيبي أتمنى أن لا ينسى! ■

وباب الصبح مفقود

— عبدالرحمن محمد أحمد - مصر —

يصبح بي شجني والقلب مفقود فهل دواء لقلب الصبح موجود؟
أضناه شوق وأمال قد احترقت واغتاله الوجد والسلوان موؤود
ألقت به الريح للأموج واختصمت فيه الأمانى والأهوال والبيد
كم كان يضحك للأيام يحسبها تفنى شجوننا ويبقى الأنس والعيد
لكنه العمر يمضي دون أغنية تمحو أساه وباب الصبح مفقود